يكثر الركوع والسجود قال أتراه يرائي قلت الله ورسوله أعلم قال فرد يديه من بين يديه ثم جمع
بين يديه فجعل يصوبهما ويرفعهما ويقول عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا عليكم هديا
قاصدا فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه وقد روي من وجه آخر مرسل وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إن هذا أخذ بالعسر ولم يأخذ باليسر ثم دفع في صدره فخرج من المسجد فلم ير فيه بعد ذلك وأنكر قد نهى
النبي صلى الله عليه وسلم على من عزم على التبتل والاختصاء وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة كعبد الله
بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون والمقداد وغيرهم وقال لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام
وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونهى عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في كل سبع وفي
رواية أنه انتهى به إلى قراءته في كل ثلاث وقال لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث ونهاه عن الصيام إلا صيام داود
وقال لا أفضل من ذلك وفي القيام إلى قيام داود عليه السلام فقوله في حديث أبي هريرة وعائشة سددوا
وقاربوا المراد بالتسديد العمل بالسداد وهو القصد والتوسط في العبادة فلا يقصر فيما أمر به ولا يتحمل
منها ما لا يطيقه قال النضر بن شميل السداد القصد في الدين والسبيل وكذلك المقاربة المراد بها التوسط بين
التفريط والإفراط فهما كلمتان بمعنى واحد أو متقارب وهو المراد بقوله في الرواية الأخرى عليكم هديا
قاصدا وقوله وأبشروا يعني أن من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر فإنه يصل ويسبق الدائب
المجتهد في الأعمال فإن طريقة الاقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها فمن سلكها فليبشر بالوصول فإن الاقتصاد
في سنة خير من الاجتهاد في غيرها وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره
وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية لكن بكونها خالصة لله صوابا على متابعة السنة وبكثرة معارف
القلوب وأعمالها فمن كان بالله أعلم وبدينه وأحكامه وشرائعه وله أخوف وأحب وأرجى فهو أفضل ممن
ليس كذلك وإن كان أكثر عملا منه بالجوارح وإلى هذا المعنى الإشارة في حديث عائشة بقول النبي صلى الله عليه وسلم سددوا
وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل فأمر بالاقتصاد في العمل
وأن يضم إلى ذلك العلم بأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وبأن العمل وحده لا يدخل الجنة ولهذا قال بعض السلف ما سبقهم أبو بكر
بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وقال بعضهم الذي كان في صدر أبي بكر الحب لله والنصيحة لعباده وقال
طائفة من العارفين ما بلغ من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة زاد
بعضهم وبذم أنفسهم وقال آخر منهم إنما تفاوتوا بالإرادات لم يتفاوتوا بكثرة الصيام والصلاة وذكر لأبي
سليمان طول أعمار بني إسرائيل وشدة اجتهادهم في الأعمال وأن من الناس من غبطهم بذلك فقال إنما يريد الله منكم
صدق النية فيما عنده أو كما قال وقال ابن مسعود لأصحابه أنتم أكثر صوما وصلاة من أصحاب محمد وهم كانوا خيرا منكم

قالوا وبم

قالوا وبم ذاك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة يشير إلى أن الصحابة فاقوا على من بعدهم بشدة
تعلق قلوبهم بالآخرة ورغبتهم فيها وإعراضهم عن الدنيا بتحقيرها وتصغيرها وإن كانت في أيديهم فكانت
قلوبهم منها فارغة وبالآخرة ممتلئة وهذه الحال ورثوها من نبيهم صلى الله عليه وسلم فإنه كان أشد الخلق فراغا بقلبه
من الدنيا وتعلقا بالله وبالدار الآخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا
وكذلك خلفاؤه الراشدون من بعده وكذلك أعيان التابعين لهم بإحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان
في زمانهم من هو أكثر منهم صوما وصلاة ولكن لم يصل قلبه إلى ما وصلت إليه قلوب هؤلاء من الترحل عن الدنيا و
توطنها للآخرة فأفضل الناس من سلك طريق النبي صلى الله عليه وسلم وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية و
الاجتهاد في الأحوال القلبية فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان جاء رجل إلى بعض العارفين فقال له
إليك مسافة فقال له ليس هذا الأمر بقطع المسافات فارق نفسك بخطوة وقد حصل لك مقصودك قال أبو يزيد
رأيت رب العزة في المنام فقلت له يا رب كيف الطريق إليك قال اترك نفسك وتعال ما أعطيت أمة ما أعطيت هذه
الأمة ببركة متابعة نبيها صلى الله عليه وسلم حيث كان أفضل الخلق وهديه أكمل الهدي مع ما يسر الله على يديه من دينه ووضع
به من الآصار والأغلال عن أمته فمن أطاعه فقد أطاع الله وأحبه الله واهتدى بهدي الله فمن جملة ما حصل
لأمته ببركته وتيسيره أن من صلى منهم العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما
قام الليل كله ويكتب له قيام ليلة وهو نائم على فراشه لا سيما إن نام على طهر وذكر حتى تغلبه عيناه ومن صام منهم
ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الشهر كله فهو صائم بقية الشهر في ضيافة الله ومفطر في رخصة الله والطاعم الشاكر
له أجر الصائم الصابر ومن نوى أن يقوم من الليل ثم غلبته عيناه فنام كتب له ما نوى وكان نومه عليه صدقة قال أبو
الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم ولهذا جاء في الحديث الصحيح رب
قائم حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش وقال بعضهم كم مستغفر ممقوت وساكت مرحوم
هذا استغفر وقلبه فاجر وهذا سكت وقلبه ذاكر وقال بعضهم ليس الشأن فيمن يقوم الليل إنما الشأن فيمن ينام على فراشه
ثم يصبح وقد سبق الركب من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدا وتجي في الأول وقوله صلى الله عليه وسلم واغدوا وروحوا وشيء من
الدلجة كقوله في الرواية الأخرى استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة يعني أن هذه الأوقات الثلاثة تكون
أوقات السير إلى الله بالطاعات وهي آخر الليل وأول النهار وآخره وقد ذكر الله هذه الأوقات في قوله تعالى واذكر اسم
ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن
آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود